زعماء التاريخ :

# مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . وحده من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للعظيم الذى يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

« الزيات بك »

— ٣ —

انتقل مصطفى كمال إلى دمشق . . مبعدا عن القسطنطينية . . وكان السلطان يظن بذلك أنه ان يستطيع أن يواصل عمله ونشاطه . . وأن صلته بأقرانه قد انقطعت . . وأن جهوده قد توقفت — ولو إلى حين — !!

ولكن كيف تهدأ نفس « مصطفى » الثائرة ، وتخبو آماله العريضة ، وتسكن حركته المتدفقة !

لقد بدأ يواصل عمله ونشاطه فى دمشق وبيروت .. واتصل « بعفيف لطفى » وهو أحد زملائه القدامى . . فى المدرسة الحربية . . وأحد مؤسسى فروع الجمعية فى بلاد الشام . . كما اتصل بقائد ميناء « يافا » . . وكان مناصرا لأعضاء الجمعية . . وظل مصطفى يطوف بمختلف بلاد الشام . . داعيا إلى إصلاح الإمبراطورية العثمانية — مركز الخلافة الإسلامية

ولكن أهل هذه البلاد من العرب .. لم يحفلوا بدعوته . . وكان معظمهم ثائرين .. لا من أجل حرية تركيا .. ولكن من أجل حرية بلادهم . . ومنذ ذلك الحين بدأ مصطفى كمال ينظر إلى وطنه مستقلا عن بقية أجزاء الإمبراطورية .. ووضع أساس سياسته الذى سار عليه طول حياته « تركيا .. للأتراك »

وفى الوقت الذى أبعد فيه مصطفى كمال عن القسطنطينية .. تكونت عدة جماعات وطنية منها « جمعية الاتحاد والترقى » التى كان هدفها الرئيسى وضع دستور للبلاد .. فلما سمحت له الظروف بالعودة إلى وطنه . . أراد أن يشترك فى هذه الجمعية ولكنه لم يكن على وفاق مع زعمائها .. ولذلك فضل العمل بمفرده

وفى سنة ١٩٠٨ م .. قامت ثورة تركيا الفتاة .. التى انتهت بالحصول على الدستور ولم يكن لمصطفى نصيب فى هذه الثورة

وحينما نشبت الحرب بين إيطاليا وطرابلس .. رأى أن يتطوع لمعاونة القوات الوطنية التى تحارب الغزاة الإيطاليين .. وقد استطاع الوصول إلى ميدان الحرب .. رغم معارضة الحكومة العثمانية .. وتضييق الرقابة الإنجليزية .. المسيطرة على مصر فى ذلك الحين ... وظل يعمل فى الميدان الجديد إلى أن نشبت الحرب البلقانية .. ضد تركيا سنة ١٩١٢ م

وحينما نشبت الحرب الكبرى .. انضمت تركيا إلى ألمانيا . فاشترك مصطفى كمال فى هذه الحرب .. وقام بنصيب كبير فى الدفاع عن بلاده حتى وصل إلى مرتبة الزعامة الحربية .. رغم معارضة وزراء الحربية له . ووقوفهم فى وجهه .. وإبعاده فى كثير من الأوقات عن ميادين القتال .. وقد حاول الإنجليز مرتين اقتحام الدردنيل .. ولكنه استطاع أن يردهم المرة تلو المرة .. حتى تراجعوا فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ .. ولذلك أطلق عليه اسم « منقذ الدردنيل »

وكان مصطفى كمال يحمل على الألمان حملة شعواء .. ويقول .. « إنه من الحمق والجنون أن نسمح للأجانب بالسيطرة على الجيش » وهو عدة الحياة لنا .. يجب علينا نحن الأتراك .. أن

---

وهى كالزنبقة البيضاء العاطرة فى ملابس عرسها ، على غير أساس من الحب الصحيح المجرد عن معانى التراب

الحب هبة السماء إلى الأرض ، وسفر الحياة ونعيمها ، وهو هبة القلب إلى القلب ، ولا يستطيع الذهب والجوهر الشور عليه فى الدنيا

لقد ابتدأت الحياة بامرأة واستمرت بامرأة وستنتهى بامرأة حين تشاء القدرة أن يزول الوجود

على محمد سرطاوى

ننهض بجيشنا .. وإنهـا لإهانة للوطن كله أن ندعو ضابطا روسيا ليتولى منا تنظيم جيشنا .. »

وحينما انتهت الحرب .. خرجت تركيا مهزومة ذليلة .. وكانت النكبة الكبرى على الدولة العثمانية احتلال اليونان لمنطقة أزمير — فقد كان ذلك يبعث في نفوس الأتراك ألما وحسرة وقلقا .. ويدعو إلى التشاؤم .. والخوف من المستقبل

خرجت تركيا من الحرب مهزومة ذليلة .. فانتهز اليونانيون الفرصة .. وطلبوا من الحلفاء أن يسمحوا لهم باحتلال أزمير

وفي اليوم الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م .. بدأت الجيوش اليونانية تنزل أرض الأتراك — الذين كانوا بالأمس القريب سادة عليهم — وقد اقترن نزولهم في هذا الميناء بالوحشية والقسوة .. فاعتدوا على الأهالي المسالمين .. وقتلوا عددا كبيرا من الجنود الأتراك .. وقد رأت الكاتبة الفرنسية مدام جوليس ما حدث عند نزول اليونانيين في أزمير .. فتقول في مذكراتها :

« بدأ اليونانيون ينزلون إلى البر .. وقد انتظموا صفوفا يتقدمهم علم يوناني كبير .. وازدحمت على جانبي الطريق الخالي من الأتراك، جموع من الأروام .. وقفت تهتف للقائد اليوناني الكبير — فنزيلوس — وكانت وجهة المحتلين والمتظاهرين .. الثكنة العسكرية التركية .. التي آوى إليها جنود الحامية التركية مع عدد عظيم من الضباط .. والشبان القادمين للاقتراع .. وكان جنود الحامية قد سلموا أسلحتهم تنفيذاً للأوامر .. وما هي إلا فترات قصيرة حتى أحاط الجيش المحتل بالبناء .. ثم دوت طلقة من أحد المتظاهرين كانت إيذانا بحركة فاجعة .. فقد صوب المحتلون مدافعهم .. فطاوت مصاريع النوافذ الزجاجية .. وامتلأ الفناء بجثث القتلى والجرحى ..

وحاول الأتراك المحاصرون أن يدافعوا عن أنفسهم .. فأخذ أحدهم قطعة قماش رفعها .. وسار صائحا في إخوانه .. كي يتبعوه، ولكن نيران المدافع كانت أقوى من بسالتهم، فمات منهم كثيرون »

يقول المؤرخ الإنجليزي الكبير هربرت فشر « قد يحتمل الأتراك احتلال أية دولة لأزمير، أما أن تخفق الراية اليونانية الحقيرة المزدراة فوق أي سقع من أسقاع آسيا الصغرى، فكان يعد من جانب كل تركي وطني صميم إهانة لا تغتفر ولا تطاق، ولذا أثار نزول الجيش اليوناني في أزمير موجدة الترك، وأهاج حفيظتهم، وأذكى في نفوسهم تصميما على مقاومتهم، وأتاح لمصطفى كمال، منقذ الدردنيل وأنبغ قواد الجيش التركي، الفرصة لخلق دولة تركية مستقلة جديدة »

٥٥٥

نظر مصطفى كمال إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها بلاده .. فلقد أبعد الأتراك عن قناة السويس .. وطردوا من العراق وسوريا وفلسطين .. وأتى الأسطول الإنجليزي مراسيه في مضيق الدردنيل .. وغدا السلطان دمية في أيدي الساسة البريطانيين .. ولم يبق للأتراك سوى آسيا الصغرى التي احتل اليونانيون جزءاً منها .. وبدأ مواطنوه يخضعون للحكم الأجنبي، ويفقدون الثقة في حاضرهم ومستقبلهم .. ولا يفكرون في وسائل الخلاص !!

ومع هذا الفساد في الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم .. بدأ مصطفى كمال يفكر تفكيرا جديا في تحرير وطنه .. وتخليص بلاده .. وبعث الشعور القومي من جديد

وكان برنامجه يقضي بالعمل على استقلال تركيا استقلالا كاملا .. ثم تنظيم الحياة القومية تنظيما مستمدا من أصول الحضارة الغربية

أخذ مصطفى كمال يبث الدعوة إلى فكرته، ويجمع المخلصين حولها .. وكان مما حدث أن قابل السلطان — وحيد الدين — وحدثه عن آلامه .. وحاول أن يبث فيه الجرأة والصلابة .. ولكن السلطان خاف على مركزه ونفوذه .. وخشي أن يغضب الدول الكبرى .. ولذلك رفض مساعدة مصطفى كمال

وحينما شعر المراقبون الأجانب، بهذه المساعي التي يبذلها، والجهود التي يقوم بها .. خشوا أن يكون لحركاته أثر في القسطنطينية عاصمة الدولة .. ومصدر توجيه الأمة .. ولذلك عملوا على محاربته « ومقاومة حركته » وذلك بإبعاده عن العاصمة ..

البقية في العدد القادم

عبد الباسط محمد حسن